

السيام وليلة التقدير



بقلم الشيخ عماد مجوت

من خصائص ليلة القدر المباركة أنها مظهر لتفصيل القرآن الكريم النازل فيها؛ فالقرآن قبل نزوله مفرقا كان محكما بمعنى البساطة وعدم التفريق الذي هو شأن من شؤون عالم الدنيا، أما عنده تعالى فهو محكم بلا تفريق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنزَّأْنَا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * وَإِنزَّاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّيْكُمْ حَكِيمٌ ﴿الزخرف: ٣-٤﴾ . وإنما صيغ بصيغ أهل هذا العالم و فرق ليتعقله الناس ويهتدوا به : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَعْرَفَ أَهْلَ عِلْمِ النَّاسِ عِلْمَ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

[الإسراء: ١٠٦]. فالقرآن المحكم عند الله تعالى مفرق عند الناس ليكون فرقانا لهم .

وهكذا ليلة القدر فهي تفرق الأمر الإلهي المحكم: ﴿حم﴾ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * ﴿إِنزَّأْنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ إِنزَّأْنَا كُنْزًا مُنْذِرِينَ * فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ

عندنا [الدخان: ١-٥]. فالأمر الإلهي أمر بسيط عند نزوله ، ولكن حال تلبسه بالتقدير يكون مفصلا لما يخص كل إنسان بخصوصه ، من خير أو شر، وما يكون له ، أو عليه ، كما في الرواية :

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» قَالَ: «يُقَدَّرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي تِلْكَ اللَّيْلِ مِنْهَا مِنْ قَابِلٍ، خَيْرٌ وَشَرٌّ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ وَمَوْلُودٌ وَأَجَلٌ وَرِزْقٌ، فَمَا قُدِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلِ وَفُضِيَ فَهُوَ الْمَحْتَمُومُ، وَاللَّيْلَةُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْمَشِيئَةُ».(١).

♦ ومن التقدير في هذه الليلة مضاعفة العمل كما في الرواية، قَالَ: قُلْتُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ «١»، أَيُّ شَيْءٍ عُنِيَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَلَوْ لَا مَا يُضَاعَفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَا بَلَغُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ» «٢».

♦ ولا يختص العمل الصالح بالعبادة ، بل يشمل كل طاعة كما في الرواية المتقدمة: "قَالَ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ» ، فأصلح ذات البين، وصلة الأرحام، والعفو عن المسيء، وقضاء حوائج الإخوان، وإدخال السرور على الأهل والمؤمنين، ومدارسة العلم من أفضل أنواع الخير ، ومعنى مضاعفة العمل فيها أنه يوازي عمل ألف شهر ، ومن هنا عظم شأنها بقوله : " وما أدراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ " ..؟

♦ وللدعاء مدخلية في التقدير الإلهي في هذه الليلة كما يكشف عنه مفردات بعض الأدعية من سؤال المغفرة والحج وأطالة العمر في عافية : "اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِيمَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتَمُومِ وَفِيمَا تَفْرُقُ مِنَ الْأَمْرِ الْحَكِيمِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي

القضاء الذي لا يُردُّ ولا يُبدلُ وأنَّ تكذيبني من حجاج بيوتك الحرام المبرور حجُّهم المشكور سعيُّهم المغفور ذنوبهم المكفَّر عنهم سيئاتهم، واجعلْ فيهما تقضي وتقدِّر أنَّ تطيل عمري وتوسع عليَّ في رزقي وتفعِّل بي ما أنت أهله". (٣).

♦ فلا ينبغي للمؤمن الذي يشده عالم الغيب ، ويخفق قلبه بحب الحبيب وآله صلوات الله عليهم أجمعين أن يغفل أو يتهاون في حق هذه الليلة، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أنه: كان يطوي فراشه ويقرأه ويشدُّ منزره في العشر الأواخر من شهر رمضان، وكان يوظف أهله ليلية ثلاث وعشرين، وكان يركض وجوه النيام بالماء في تلوكة الليلية".

وكانت السيدة فاطمة (عليها السلام) لا تدع أحداً من أهلها يتام تلوكة الليلية وتدأويهم بقلبة الطعام، وتتأهبُّ لها من النهار، وتقول " محرِّوم من حرِّم خيرها " (٤) . فإذا كان الحرمان متمثلاً في خير هذه الليلة فلا يليق بمؤمن تركها .

(٣) مفاتيح الجنان .

(٤) . بحار الأنوار : ج 94 / 10